

الإحكام لابن حزم

وكل لفظ ورد بعلينكم فهو فرض وكل أمر ورد بلكم أو بأنه صدقة فهو ندب لأن علينا إيجاب ولنا صدقة إنما معناها الهبة وليس قبول الهبة فرضا إلا أن يؤمر بقبولها فيكون حينئذ فرضا ومما تحل به الأوامر على الندب أن يرد استثناء يعقبه في تخير المأمور مثل قوله تعالى في الديات { ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما } وفي وجوب الصداق { وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو لذي بيده عقدة لnkاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا لفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير } وفي قضاء الدين { وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون } وما أشبه ذلك وهذا معلوم كله بموضوع اللغة ومراتبها وبالله التوفيق .

فصل في حمل الأوامر والأخبار على طواهرها .

قال علي ذهب قوم ممن بلغ عندما أراد من نصر ما لم يأذن الله تعالى بنصره من التقليد الفاسد واتباع الهوى المضل إلى أن قالوا لا نحمل الألفاظ من الأوامر والأخبار على طواهرها بل هي على الوقف وقال بعضهم وهو بكر البشري إنما ضلت الخوارج بحملها القرآن على طاهره واحتج بعضهم أيضا بأن قال لما وجدنا من الألفاظ ألفاظا مصروفة عن طاهرها ووجدنا قول القائل إنك سخي وإنك جميل قد تكون على الهزؤ والمراد إنك قبيح وإنك لئيم علمنا أن الألفاظ لا تنبئ عن المعاني بمجردها .

قال علي هذا كل ما موهوا به وهؤلاء هم السوفسطائيون حقا بلا مزية وقد علم كل ذي عقل أن اللغات إنما رتبها الله ليوقع بها البيان واللغات ليست شيئا غير الألفاظ المركبة على المعاني المبينة عن مسمياتها قال الله تعالى { وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم } واللسان هي اللغة بلا خلاف ههنا فإذا لم يكن الكلام مبينا عن معانيه .

فأي شيء يفهم هؤلاء